العلم فتحاً: العلامة، دون العلم[١] ومن آياته انفراد المفعول، وليس مفعول العلم إلّا جملة تامة، و«الذين صدقوا - كما - الكاذبين» ليست تامة، فقد تعني التأكيد الأكيد للعلامة صدقاً في الصادقين وكذباً في الكاذبين، فـ «ل» تأكيد أوّل، ونون التأكيد ثان، بهما تتأكد الغاية المقصودة من الفتنة أنها العلامة على الفريقين، خروجاً عن المساوات في ﴿أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ مواصلة بين القول والعمل للصادقين، ومفاصلة للكاذبين، علماً لهم ولسائر المجاهيل الذين لا يعلمون صدق القول في دعوى الإيمان وكذبه فـ «عند تقلب الأحوال تعرف جواهر الرجال»!.

ولأن اللّام هنا هي لام القسم فقد تعني «ليعلمن» تأكيد علمه الصادقين والكاذبين، إضافة إلى علمه، فذلك تأكيد أكيد لعلمه وعلمه مهما دلت وحدة المفعول على أصالة العلم، فإنما عناية العلم ضمن العلم تسمح لوحدة المفعول.

وهذه بخلاف الآيات التي تجعل العلم غاية الابتلاء كـ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ . . .﴾[٢] فإنه العلم دون العلم..

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾:

هنالك مهلة ماحلة للذين يعملون السيآت، يحسبونهم بها سابقين على الله وعلى أهل الله، غافلين أو متغافلين أنها إمهال من الله وإملال بكيد متين: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾[٣] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٤] وفي أن الإملاء هو

(١) وهكذا نرى في عشر أخرى من الآيات انها تعني العلم ومفاعيلها مفردات كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٣

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

من الشيطان، يمضيه الله بحق الظالمين فيذرهم في طغيانهم يعمهون، حيث ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾[1] فـــ ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾[2]، كما وذلك الحسبان الغاوي الخاوي من الشيطان ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ ﴿أَن يَسۡبِقُونَآۚ﴾ إذ لا فارق لنا في ذلك الميدان حتى يكون سباق فيسبقونا أو نسبقهم، وإنما يصبغهم الشيطان بما سول لهم بهذه العقلية القاحلة، فحسبوا أن يسبقونا، وعامل السيئة لا مفلت ولا سابق، ومن يحسب هذا أو ذاك فقد ساء حكمه وفسد تقديره واختل تصويره، وحلّ تكويره وتكديره. ولأن ﴿أَمۡ﴾ منقطعة تعطف إلى محذوف معروف من الحسبانات السيئة، فقد يكون هو نكران الله، أو الإشراك بالله، أم حسبان جهله عما يعملون، أم هتك حرمته على حضوره، أم الأمن من عقابه بعفو أو شفاعة أمّا هيه من حسبانات خاوية، هي التي تسمح لهم ان يعملوا السيآت ﴿أَمۡ . . . أَن يَسۡبِقُونَآۚ﴾.

فهي - إذاً - تشمل كل هؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ دون اختصاص، مهما اختلفت دركاتها، فاختلفت التهديدات بهم والتنديدات.

وعمل السيآت - ككل - ناتج عن البعد عن الله، في أية دركة من دركاته، كما أن لقاء الله درجات:

﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٥﴾:

﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ وما أدراك ما ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾؟ هل هو الاتصال بالله دون أي حجاب حتى حجاب الذات؟ ولا يتيسر لأحد ممن سوى الله حتى أوّل العابدين وأفضل العارفين وكما قال: «ما عبدناك حق عبادتك ولا عرفناك

(١) سورة محمد، الآية: ٢٥.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٩.

حق معرفتك»! أم هو لقاء ثوابه - فقط - ورحمته هنا وفي الأخرى[١]؟ وتعبيره الصحيح ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ أم ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾[٢] أم ﴿وَلِقَآئِهِ ٱلْأَخِرَةِ﴾[٣] حتى تعني لقاء ربوبية الجزاء! بل ولقاء الرب أيضاً تعمها وسواها من لقاء يرجى لقبيل الإيمان: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[٤].

بل ورجاء اللقاء دون يقينه قد يختصه بغير الحياة الآخرة لأنها متيقنة لأهلها حيث: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[٥]، فهو إذا رجاء اللقاء المعرفي ورجاء الثواب في الدارين، ولا سيما في «لقا لله الله»، وليس في القرآن رجاء اللقاء إلّا للمؤمنين ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ كما هنا و﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ كما في الكهف، ثم ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾[٦] للكافرين.

إنه ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ معرفياً بعبودية، وعبودياً بمعرفة، محلقاً على كل درجات الزلفي إلى الله حسب درجات العبودية والمعرفة.

و﴿كَانَ يَرْجُواْ﴾ تضرب إلى أعماق الماضي كماً وكيفاً، أن أصبح رجاء لقاء الله عشيراً له في حياته، ولا يصح رجاء إلّا بتقديم أسباب للحصول

(١) نور الثقلين ٤: ١٥٣ في كتاب التوحيد حديث طويل عن علي عليه السلام يقول فيه - وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات: وقوله: من كان يرجو لقاء الله فإن اجل الله لآت، يعني بقوله: من كان يؤمن بأنه مبعوث فإن وعد الله لآت من الثواب والعقاب فاللقاء هاهنا ليس بالرؤية، واللقاء هو البعث فافهم جميع ما في كتاب الله من لقائه فإنه يعني بذلك البعث». أقول: انما نفى هنا لقاء الرؤية دون سائر اللقاء، فإثباته لقاء الثواب في الآخرة لا ينافي اثبات سائر اللقاء إلا الرؤية واضرابها، وانما ذكر لقاء الثواب كمصداق تتقن متيقن مفهوم لكل أحد، والأكثرية الساحقة من آيات لقاء الله ولقاء الرب تعني الآخرة بثوابها وعقابها.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٧.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٥) سورة الرعد، الآية: ٢.

(٦) سورة يونس، الآية: ٧.

على المرجو، والعبودية والمعرفة الإيمانية هما السببان الرئيسيان للقاء الله في الآخرة والأولى، و﴿أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ هنا هو الوقت المؤجل للقائه عاجلاً أم آجلاً، كلما ازدادت المعرفة زادت العبودية، وكلما ازدادت العبودية زادت المعرفة، حتى يصبح العبد ﴿أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾[1] في عبوديته، ومتدلياً بالله في معرفته، حيث لا يبقى بينه تعالى وبينه أي حجاب حتى حجاب نفسه إذ يتغافل عنها في تلك الجذبة الربانية، فلا يبقى إلّا حجاب الذات، حينما تفنى حجب الإنيات. فرجاء اللقاء بشروطه الصالحة يخلفه وبقدره ودونما تخلّف ﴿أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ لذلك اللقاء ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[2] والراجي المفتاق المشتاق يلقى أجل الله أياً كان ﴿وَهُوَ﴾ لا سواه ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ صوت القال والحال وصيتهما ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بكل حال وقال وأفعال.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾:

﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ طبعاً في سبيل الله وفي الله وإلّا لكانت على نفسه لا لنفسه ﴿فَإِنَّمَا﴾ دونما إبقاء ﴿يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ﴾ فإنها سعي لصالحه نفسه في الحياتين، وليسن لصالح ربه فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والمجاهدة هي المبالغة في الجهاد فإنها مفاعلة بين طرفي النزاع، وليس جهاداً دونما منازع، فهنا نزعات النفس ورغباتها تعرقل المسير، وكما هناك الرغبات والنزعات الإبليسية خارجة النفس، والعقل المتبني الفطرة المتأيد بوحي السماء هو المجاهد الوحيد في ميادين السباق بهؤلاء الرفاق الأقوياء، وحياة المؤمن هي سلسلة معارك الجهاد آفاقياً وانفسياً في سبيل الله، دونما فترة ولا فطور، وإلّا لكانت حياة جاهلة قاحلة، مقلوبة في إنسانيتها فضلاً عن إسلاميتها.

فقد تجاهد لله ولا عائدة منها إليك في أمرها إلّا أمرها فتتهاون - إذاً -

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨١.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣٩.

فيها، أو قد يشاركك الله في تلك العائدة نصف لك ونصف له فكذلك الأمر وأقوى، ولكن الله غني عن العالمين و﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ وما الله إلّا دليل الرشاد وموفق العباد في كل جهاد، فلماذا إذا التهاون في سبيل الجهاد.

وما سبيل الله في جهاد وسواه، إلّا سبيل صالح المجاهد في الله، حيث يبلّغه مناه، ويمده إلى مداه، ويهديه هداه، وما وعد الثواب للمجاهدين إلّا رحمة من الله وفضلاً دونما استحقاق، فالجهاد بالنفس والنفيس بكل غال ورخيص، يصلح من نفس المجاهد وقلبه، ويرفع من تصوراته وآفاقه، فيستعلي به على الشح، ويستجيش أفضل ما في كيانه وإمكانه من عدّات وعدّات.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهم «من جاهد» بصيغته الأخرى السائغة، المفسرة للجهاد والمستفسرة منه، حيث الإيمان جهاد نفسي وعمل الصالحات هو الجهاد الآفاقي، وكيف يحصل أو يتكامل إيمان بلا جهاد، وكيف تتحقق الصالحات دون جهاد.

وهنا الله يعد المجاهدين تكفيراً عن سيئاتهم اللّمم وسواها، المتفلتة عنهم في حياة الجهاد، تغافلاً أو تساهلاً، فيأمنوا بأس السيآت حيث اجتنبوا كبائرها ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[1].

ولأن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قد تعم هؤلاء والذين لا يعترفون السيآت حتى اللمم

(١) سورة النساء، الآية: ٣١.

كالمعصومين من السابقين والمقربين، فالتكفير بالنسبة لهم دفع عن السيآت ألّا يرتكبوها، لا رفع لهما بعد ارتكابها، كما الغفر يعم الدفع والرفع.

ثم للذين آمنوا - ككلّ على قدر ايمانهم - تكفير الدفع كما لهم تكفير الرفع ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[١].

أم أن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ تعني من سوى المعصومين فإنهم مسلمون لله، لا فقط انهم مؤمنون، وقد يتأيد بـ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٢] فإنهم بطبيعة الحال من فوق المؤمنين من ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[٣] فالمؤمنون هنا ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ . . . مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ . . .﴾[٤] والصالحون هنا دون مقابل هم كل هؤلاء الأربع الذين على صراط مستقيم.

ثم ولا وحسبهم هذا، بل ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ جزاءً الحسنى بالحسنى، وحتى الحسنات التي ليست بالحسنى، وهي الجزاء بعشرة أمثالها وزيادة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ﴾[٥] والحسنى هنا والأحسن هناك هما الأحسن وجزاءه لا يتفارقان، ففي أربع - آيتنا منها - الجزاء هو الأحسن نفسه، وفي ثنتين الجزاء بالأحسن[٦] مما يبين أن الجزاء هو العمل نفسه بما يظهر بملكوته هناك، وإنه العمل الأحسن دون السيء إذ كفّر عنهم،

(١) سورة النجم، الآية: ٣٩.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٩.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٤) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٥) سورة يونس، الآية: ٢٦.
(٦) فمن الأول: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١] ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦۗ﴾ [النّور: ٣٨] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف: ١٦].
ومن الثانية: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النّحل: ٩٧] ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٥].

ولا الحسن فإن أقله عشرة الأمثال، فالجزاء الأحسن جزاءً للأحسن والحسن سواء، فليجاهد المؤمن ويبالغ أن يأتي بالأحسن فالأحسن فإنه درجته يوم القيامة، وكلما كان الأحسن أكثر فالجزاء - بطبيعة الحال - أحسن، حيث القصد من الأحسن مجموعة الكم والكيف، فالذي يكون كل اعماله الأحسن دون سيء ولا حسن كأوّل العابدين، فدرجته كذلك أحسن ممن يكون أحسنه أقل في كم أو كيف أو فيهما، و﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[1].

ويا له من فضل عظيم عميم ونعيم مقيم للمجاهدين الذين آمنوا وعملوا الصالحات، تكفيراً عنهم سيئاتهم، وجزاء الحسنى بكل حسناتهم وليست كلها حسنى، فما أكرمك يا رب، وما ألأمنا يا رب!.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾:

هذه وصية ربانية لصالح الوالدين والأولاد ﴿حُسْنًا﴾ هنا و«إحسانا» في أخرى، مما يدل انهما واحد، أن تكون حياتك معهما حياة حسنة بإحسان حالاً ومالاً ومآلاً دونما أية إساءة ولا سوء حتى في قلبك فضلاً عما يظهر، ولا ترك إحسان ألّا تسيء إليهما ولا تحسن حيث الفرض هو الإحسان، وهذه هي الضابطة الشاملة على أية حال، المقتضية لطاعتهما على أية حال، إلّا إذا كانت عصياناً لله فكلّا، فتركا لطاعتهما فيه مع الحفاظ على المصاحبة الحسنة فيما وراءها، حيث الصلة بالله وفي الله هي الصلة القمة الأولى، لا تساويها أو تساميها أية صلة، فلا تناحرها صلة الوالدية فيما تنافرتا، وليست الصلة الوالدية إلّا بما قرر الله في حقلي التكوين والتشريع، فكيف تتقدم على صلة الله! فكل صلة تتهاوى بجنب صلة الله، إلّا ما تصلك بالله، وتسرع

(١) سورة النساء، الآية: ٤٩.

عجلة سيرك إلى الله[١] فإنما طاعتهما في المباحات التي لا أمر فيها ولا نهي، صارماً أم راجحاً أم فعل المستحبات وترك المكروهات، فكما تجب المستحبات وتحرم المكروهات بنذر أو عهد أو قسم، كذلك - وبأحرى - بأمر الوالدين فإن طاعتهما فيهما هو من حسن عشرتهما، اللهم إلّا في الموارد الحرجة أو العسرة فلا، فترك المستحبات وفعل المكروهات بأمر الوالدين ليس من واجب الطاعة لهما مهما جازت إلّا إذا حملت تشريعاً فمحرمة.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ بالغ الجهد في جحد التوحيد الحق بكل حقوله طاعة وعبادة ﴿لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ اشراكاً في أيّ من شؤون الربوبية، من توحيد الذات أو الصفات أو الأفعال، أو الوحي أو العبادة والطاعة أماهيه من قضايا الربوبية الوحيدة ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولماذا تطيعهما فيها، ومنه مبدئكم ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ في معصيتي وكلها اشراك بي مهما اختلفت دركاتها، ثم ولا تسيء إليهما في عشرتك إياهما إلّا ترك هذه الطاعة وهي في الحق إحسان إليهما ألّا يزرا مع وزرهما وزراً منك، وليس في طاعتهما بمعصية الله أو العمل خلاف حب الله حسن، ودائرة الوصية بالوالدين مضيقة بـ«حسنا» أترى أن الله يفرض طاعة أو يسمح ما فيه معصية ويراه حسناً وهو

(١) روى الترمذي عند تفسير هذه الآية انها نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه حمنة بنت أبي سفيان وكان باراً بأمه فقالت له: ما هذا الدين الذي أحدثت، والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فتتغير بذلك أبد الدهر يقال: يا قاتل أمه، ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب فجاء سعد إليها وقال يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني، فكلي إن شئت وإن شئت فلا تأكلي فلما أيست منه أكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية.. وفي الدر المنثور عن قتادة في الآية قال: أنزلت في سعد بن مالك لما هاجر قالت أمه: والله لا يظلني ظل حتى يرجع فأنزل الله في ذلك ان يحسن إليهما ولا يطيعهما في الشرك.

يحمل مثلثاً من السوء: سوء بساحة الربوبية، وسوء بنفسه في هذه الطاعة، وسوء بالوالدين حيث تخلف طاعتهما في معصية الله مزيداً في وزرهما.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾[1].

ولماذا خصوص ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ في «لا تطعهما»؟ لأنها القمة العالية من الحمل على العصيان، في كل المحاولات الممكنة تحبيباً وتهديداً وضرباً وشتماً وأية مجاهدة تحلّق على كافة السلبيات والإيجابيات في سبيل حملك على ﴿أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ فلتكن مجاهدتك في هذا الميدان ترك طاعتهما كاقل الجهاد، ثم ودعوتهما إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة وجدالهما بالتي هي أحسن كما هي السنة في الدعوة الصالحة، وأنت أولاً وأخيراً عليك كأصل اصيل أن «لا تطعهما» ثم ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ و﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ هي كحجة لترك الطاعة، وهي بصورة عامة: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[2]، وهنا بصورة خاصة من المحال أن يحصل علم بشريك لله تعالى لا فطرياً ولا عقلياً ولا كونياً ولا نقلياً، بل ومربع الأدلة برهان قاطع لا مرد له أن «لا إله إلا هو رب كل شيء» ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إذا فـ ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ برهان قاطع على ضلال الإشراك، حيث لا يبرهنه أيّ علم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾:

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ هنا بطبيعة الحال هم الأئمة القمة في الصلاح حتى يلحق

(١) سورة لقمان، الآيتان: ١٤، ١٥.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

بهم كل الذين ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فهم ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[1] و﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الأولين علّهم كل هؤلاء الأربع، وذلك حشر في الحياتين لأولئك المؤمنين على درجاتهم مع الصالحين الأولين من السابقين والمقربين ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَ لَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾:

إن طبيعة الحال لمن يؤمن بالله شاهراً مجاهراً أن يؤذي في الله وفي سبيل الله حيث الناس في الأكثرية الساحقة هم في الحق نسناس، يعارضون شرعة الله في الناس، فالتأذي في الله سنة في هذه الأدنى في الأمثل فالأمثل من المؤمنين بالله، ومما يروى عن رسول الهدى ﷺ: «لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت على ثالثة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلّا ما يوارى إبط بلال»[2] «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت» هذا! ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ ولمّا يؤمن بالله أو يرتكن الإيمان في قلبه أم هو منافق كافر في قلبه بالله، وإلّا كان حق التعبير «من يؤمن بالله» لا ﴿مَن يَقُولُ﴾ حيث القول أعم من الواقع، ولا واقع لهكذا قولة يجعل صاحبها الإيذاء في الله كعذاب الله، ويكأن الله يعذب من آمن به، وفتنة الناس حين لا تزوى عن هؤلاء كما عن المؤمنين حقاً، لا يحق أن تنسب إلى الله كأنه يعذب من آمن به حيث لا يدفع عنه الأذى، رغم أنها في

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) الدر المنثور ٥: ١٤٢ - أخرج أحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والترمذي وصححه وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان وأبو نعيم والبيهقي في شعب الإيمان والضياء عن انس قال قال رسول الله ﷺ . . .